



معركة اللوبي الصهيوني في انتخابات الكونجرس



الإبادة التي ارتكبتها إسرائيل في غزة وشاهدها الأمريكيون بالصور والصوره باتت المنظمة، التي كان الكل يخطب ودها ويخشى انتقامها، عبثاً يتجنبه المرشحون، حتى إن عدداً من المرشحين الجمهوريين، لا الديموقراطيين فقط، طلبوا من «إيباك» ألا تقوم بالدعاية لصالحهم في الانتخابات الحالية!

لكن «إيباك» مجرد واحدة من منظمات كثيرة تدعم إسرائيل، ونفوذها على الكونجرس لا يتحقق فقط عبر التمويل وإنما عبر الضغط المستمر لتمرير قوانين تصب في مصلحة إسرائيل.

فبعد أن انهارت شعبية إسرائيل ضطفت تلك المنظمات بقوة في الكونجرس الحالي من أجل إضافة بند بالغ الخطورة ينص على التحول من المساعدات

العسكرية لإسرائيل التي تخضع للمراجعة السنوية للكونجرس إلى الشراكة التنفيذية عبر دمج المؤسسات العسكريةتين الأمريكية والإسرائيلية من خلال مؤسسة تبادل البحوث والاستخبارات والتكنولوجيا العسكرية الحساسة من دون الخضوع لرقابة المؤسسة العسكرية.

والكونجرس في القلب من عملية الضغط السياسي في واشنطن، كونه الذي يعتمد المخصصات المالية، إلا أن هذا لا يعنى أن ضغوطا لا تمارس على المؤسسات التنفيذية، كوزارتي الخارجية والحرب.

لكن تلك مهمة منظمات عدة بجانب «إيباك». وهو ما يذهب أحياناً إلى ما هو أبعد وأكثر خطورة من مجرد ضغوط تمارس لتحقيق هدف محدد، فمما لا يقل أهمية عن كل ما تقدم، التجنيد غير المباشر لكبار العسكريين المتقاعدين الذين يشاركون بعد تقاعدهم في مجالس إدارة كبريات شركات صناعة السلاح.

وهؤلاء بالمناصب هم ذاتهم من تضج بهم قوات الأخبار الأمريكية «كخبراء» لإضفاء الشرعية على سلوك إسرائيل ومطالبتها، فضلاً عن حملات الدعاية المستقلة التي تنفق عليها الحكومة الإسرائيلية نفسها.

التنويل المباشر الذي تخلت عنه «إيباك» مجرد نقطة في بحر القوات المستخدمة لدعم إسرائيل في الولايات المتحدة!

الانتخابات ومأزق إسرائيل الاستراتيجي

أما إذا صحت مقارنة نتائهاو فهذا يعني أن إسرائيل تواجه مأزقاً لا حل له.

يزيد من تعقيد هذا المأزق تداخله مع مأزق داخلي يتعلق بالثقة بالمؤسسات، واستقلال القضاء، وتوزيع أعباء الخدمة العسكرية، والمساءلة عن إخفاق السابيع

من أكتوبر. كما تواجه إسرائيل تحدي الحفاظ على علاقاتها الخارجية في ظل التوتر المرتبط بالحرب والاستيطان. وهكذا، يدغو الأمن مرتبطاً بقدرة الدولة على صيانة تماسكها وتحالفاتها، إلى جانب قدراتها العسكرية.

وفي مواجهة هذه الأزمات، يمكن قراءة توجه معسكر نتنياهو باعتباره رهاناً على مواصلة الثقة بالموستكر وفرض وقائع ميدانية تحسن شروط إسرائيل السياسية. ويمتج وجود القوى الدينية والقومية المتطرفة داخل المعسكر وزناً أكبر لتوسيع الاستيطان ومشروعات الضم. غير أن هذا التوجه يواجه تناقضاً أساسياً: فزيادة السيطرة قد تعيق، من ناحية إقليمية مباشرة، لكنها توسع أيضاً المسؤوليات والأعباء التي تتحملها إسرائيل.

أما الاتجاه الرئيسي في المعارضة فيراهن على استعادة كفاءة مؤسسات الدولة، وترميم الثقة الداخلية، وتحسين العلاقات الخارجية، وربط استخدام القوة بأهداف أوضح. ويطرح أيزنكوت مقارنةً أمنية ترفض انهيار السلطة الفلسطينية والحكم الإسرائيلي المباشر لملابيين الفلسطينيين، مع الإبقاء على السيطرة الأمنية الإسرائيلية. وتختلف هذه المقاربة عن توجهات الضم الشامل، لكنها لا تلحز الاعتراف بالسيادة الفلسطينية الكاملة بوصفه مخرجاً من الصراع.

وتظهر حدود البديل في توافق نتنياهو وأيزنكوت على رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الأفق المنظور، وعلى اشتراط نزع سلاح حماس، مع الاستعداد لاستئناف القتال. كذلك، توجد خلافات مؤثرة بشأن التوسع الاستيطاني واليور غير المرخصة وإرهاب المستوطنين.

لذلك، يصعب إخراج التناقضات في مواجهة بين مشروع حرب ومشروع سلام. والواقع أنها منافسة بين توجهات مختلفة لإدارة القوة والسيطرة، تتفاوت في تقدير كلفتها وحدودها. كما أن المعارضة نفسها ليست كتلة متجانسة؛ فهي تضم قوى يمينية وأخرى وسطية، وفي جانب حزب الديموقراطيين المؤيد لحل الدولتين. وتبرز خلافاتها مع معسكر نتنياهو بوضوح أكبر في ملفات القضاء والتجنيد والمساءلة عن إخفاق أكتوبر. وجاءت نتائج الانتخابات بمحصلة غير حاسمة لكلا المعسكرين، من دون أن يصل أي منهما منفرداً إلى أغلبية 61 مقعداً. وهذه مؤشرات تفتح الباب أمام مفاوضات صعبة وتبدل التحالفات، وربما العودة إلى الانتخابات، لكنها لا تمثل نتائج محسومة.

وبناء عليه، قد تؤدي نتائج الانتخابات إلى تغيير مهم في شكل الحكم، وضبط بعض السياسات، وتخفيف التوتر الداخلي والخارجي. لكن الخروج من المأزق الاستراتيجي يتطلب معالجة العلاقة بين الأمن والسيطرة والحقوق الفلسطينية. وقد تنجح حكومة أكثر كفاءة في تقليل كلفة الأزمة، بينما يظل إنهاؤها رهوناً بخيارات سياسية تتجاوز الإدارة العسكرية للصراع.

ومن المنظور الفلسطيني، تبقى السياسات الفعلية معياراً لتقييم الحكومة المقبلة: ماذا ستفعل بالأرض والاستيطان والعقوق والسيادة؟ قد تغير الانتخابات اتجاه المأزق وحده، لكن تجاوز جذوره يحتاج إلى تسوية سياسية تنهي الاحتلال وتضمن الحقوق الوطنية الفلسطينية؛ وهو ما لا يبدو أن نتائج الانتخابات توفره. وهذا يضع الفلسطينيين أمام السؤال الخالد: ما العمل؟

○ باحث فلسطيني متخصص في الأمن القومي.

لوبي إسرائيل في واشنطن

ليس فقط منظمة «إيباك»، ووسائل ضغطه على القرار الأمريكي لا تقتصر على تمويل الحملات الانتخابية، والضغط على ضناع القرار لا يقتصر على الكونجرس. مناسبة هذه المقدمة ما نشرته الصحف مؤخراً عن القرار الذي اتخذته لجنة الشؤون العامة الأمريكية-الإسرائيلية، المعروفة اختصاراً بـ«إيباك»، كبرى منظمات اللوبي. فهي أعلنت أنها ستوقف عن التمويل المباشر للمرشحين للمناصب السياسية، تاركة ذلك لأعضائها أنفسهم، بينما ستستحق هي من خلال ما يُعرف بـ«لجان العمل السياسي»، وهي التي تنشئها جماعات المصالح لتتولى التمويل من خلال التبرعات لا ميزانية المنظمة التي أنشأتها.

معنى ذلك أن التمويل «المباشر» فقط هو ما تخلت عنه «إيباك» من دون غيره من أشكال التمويل. فتمولي الحملات الانتخابية بأمرىكا له قنوات قانونية متعددة، منها التمويل المباشر. أي أن تقدم «إيباك» المال مباشرة لحملة المرشح. وهو النوع الذي أجمعت عنه، وبدلاً من تقديم التمويل مباشرة للمرشح، تستشدد أعضاهاه ليقوم كل منهم بمفرده بتمويله.

وبإمكان ذلك الفرد نفسه أن يمول المرشح فم يتبرع للجان العمل السياسي لتقديم التمويل للمرشح نفسه. والحقيقة أن «إيباك» يمكنها تمويل الانتخابات عبر العشرات من لجان العمل السياسي التي أنشئت عمداً بأسماء خادعة لا علاقة لها بإسرائيل أو حتى بالسياسة الخارجية!

وإلى جانب ذلك كله، بإمكان ذلك الفرد نفسه أو «إيباك» أو الاثنين معاً إتفاق حجم لا نهائي من الأموال على حملة دعابة مستقلة تدعم المرشح ذاته من دون أن تفصح عن مصادر تلك الأموال ولا حجمها، بشرط ألا تتم تلك الحملة بالتنسيق مع حملة المرشح؛

بعبارة أخرى، لم تخل «إيباك» عن تمويل الحملات بالمطلق وإنما تخلت عن أكثرها علانية وضبطاً من الناحية القانونية من حيث سقف التمويل والإفصاح عن مصادر. وحرب الإبادة في غزة هي السبب المباشر لقرار «إيباك»! فبعد

القرآن.. وحديثه عن القرآن!

للشوارد، ولمهم للإبداع، ومحرك للمشاعر، وهو فوق هذا كله معجز ختم الله تعالى به المعجزات وبه ختمت النبوءات، فلا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا معجزة بعد القرآن، ولا أمة بعد أمة الإسلام. أوكل الله تعالى إليها مهمة إبلاغ العالمين برسالة الإسلام وتقديم النموذج الأمثل لقيم الإسلام في حياتهم، والقرآن أيضاً برنامج للعمل الصالح يرسم للإنسان الصراط السوي ويربط الماضي بالحاضر، ويستشرف المستقبل، فيه إجابات شافية كافية لأسئلة وقعت، ولأسئلة لم تقع بعد ولم يأت أوانها بعد.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً (105) فيذرها قاعاً صافياً (106) لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً (107)».

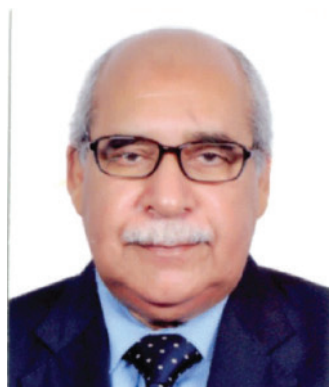
وهناك أسئلة أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعضها، وأجل الإجابة عن البعض الآخر حتى يأتي زمنها، وكثير من الأسئلة التي سألها المسلمون ولم يجب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون القرآن العظيم مصدراً ثرياً للمعارف والعلوم التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم. هكذا صار للمسلمين مخزوناً من المعارف والعلوم، استعانوا بها على صنع حضارة لم يشهد التاريخ لها مثالا.

هذا هو الإسلام الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيدة صافية، وصراطاً سوياً في الأخلاق والعمل الصالح.

الله عليه وسلم، يقول تعالى: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين» يوسف: 3 .

وحين يشير القرآن الكريم إلى القرآن كما جاء في سورة البقرة «آلم (1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (2)»، فمن يبحث عن الهداية فسيجدها في هذا الكتاب، ومن أراد التقوى حماية لنفسه من آثار صفات الجلال بصفات الجمال، قال تعالى: «وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يعقلون أو يحدث لهم ذكراً» طه: 113 . وإصرار القرآن وتحديه للأمة التي نزل فيها هذا الكتاب المعجز هو في الحقيقة دفاع عن اختيارات الله تعالى، فهو الذي اختار هذه المعجزة الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في بلاغه عن الله تعالى، قال سبحانه: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (31) قالوا ألقوا أسماؤكن على سمعنا ولنا إله أعلم بما كنا تفهمون» الحجر: 32 .

لقد أرسى الحق سبحانه وتعالى المعمار المعرفي حين قص على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم القصص الحق، وهي وإن تشابهت مع ما يشيحه الناس فيما بينهم من قصص لكنها تختلف عنها في المضمون لأنها وحى يوحى. إذا، فالقرآن في القرآن كتاب مكتوب، وهو في القرآن كتاب مقروء، وهو في القرآن مصدر للمعارف والعلوم، وهو جامع



بقلم:
عبدالرحمن علي البتفلاح

القضية للمسلمين، بأن القرآن هو بحق المعجزة التي اختارها الله تعالى لإثبات صدق الرسول في البلاغ عن الله تعالى ربما يكون السبب في هذا هو أنهم يفتحون مصاحفهم قبل أن يفتحوا قلوبهم، قال تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها». ولأن القرآن كتاب غير عادي فله معاملة خاصة به لا يشاركه فيها أحد، ومن هذه الخصوصية في المعاملة أن على قارئ القرآن أن يقوم من يتلو القرآن بتخلية قلبه من شواغل الدنيا، وعليه أن يملأ قلبه بالإخلاص والإقبال على الله تعالى ليستجيب له ربه سبحانه بما يرجوه من خير وأن يصرف عنه كل شر. وعلى المسلم عند تلاوة القرآن أن يستحضر كل أسباب الإخلاص في التعامل مع هذا الكتاب الكريم، وخاصة أنه يتعامل مع أحسن القصص التي قصها الله تعالى على رسوله صلى

إن فهمنا لحديث القرآن عن القرآن يحتاج إلى مزيد من البيان، ومن أجل توثيق الصلة بهذا الكتاب المعجزة الذي اختاره الله تعالى ليكون حجة على الناس، وشهادة على نبوغ العرب في البلاغة والبيان، التي بلغوا فيها القمة، وكضمان لهذا الموضوع وذاك البيان، تولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وصيانه من أن يعيث به العابثون، أو ينحرف به بسوره وآياته المحرفون الذين يسعون في الأرض فساداً، قال تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر: 9 .

ومن وسائل حفظه وصيانه من التدخل البشري بالإضافة أو الحذف، قال تعالى: «وإنه لكتاب عزيز (41) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (42)» سورة الصف.

والقرآن إنما نزل للتدبر لأنه كتاب مبارك، ومن بركة عطائه التي لا تقف عند حد وهو قادر على مواجهة خصومه بديل أنه يسود ادعاءاتهم ضده ثم يقوم بالرد عليها وتفنيدها، والعجيب أنهم يحتاجون بالأدلة والبراهين التي أوردها الله تعالى للرد عليهم، ويظنون أنها أدلتهم في التشكيك في نسيبة القرآن إلى الله تعالى، ومن الأدلة التي يوردونها القول الذي جاء على لسانهم في القرآن، قال تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» النساء: 82 .

وحين يحاولون البحث في القرآن عن أي اختلافات لا يجدون شيئاً منها، ومن ثم تسلم

صفحات من أوراق جدي القديمة..

الذكري بين العقل والقلب

تمرر ربها الدافئة: أنا بحاجة إلى أن أشعر أنني مازلت حياً، لا مجرد مضخة دم صماء.

ابتسمت الذكرة وهي تقرب إليهما طيفاً لنافذة قديمة، ووجه غاب لكنه ترك أثراً لا ينمحى، وقالت: رفقاً ببعضكم، فأنا لست سجيناً كما تظن يا عقل، ولست جرحاً ينزف بلا توقف كما يخشى القلب. أنا مجرد امرأة؛ ترون فيها أنفسكم حين كنتم أصغى وأصدق.

نظر العقل إلى الطيف مطولا، ولأول مرة تراجع صوته الحاد ليحل محله هدوء عميق، وقال بخفوت: ربما، ربما كنت قاسياً

بعض الشيء يا قلب. أنا لا أرفض الذكريات لذاتها، بل أخشى أن تظل أسيراً لها، فالإنسان لا يستطيع أن يمشي إلى الأمام وعقده ملتقت دائماً إلى الوراء.

أجاب القلب بنبرة أرّقتها الشوق، وهو يمد يده ليلباس طيف الذكرى: الألم هنا ليس عقاباً، يا عقل. إنه الدليل الوحيد على أننا أحيينا بصدق، وأننا جربنا الحياة بكل جنونها وجمالها، الذكريات ليست مجرد ماضٍ انتهى، بل هي البذرة التي يظل عطرها في الروح مهما تغيرت الفصول.

التفت القلب للذاكرة، فقال وهو يشير إلى الصندوق: افتحيه، أروح.

فتحت الذاكرة الصندوق، حينئذ تسلل ضوء دافئ منه، الذاكرة: هذه أول ذكرى، ضحكة في صباح بعيد، والشمس تدخل من النافذة، وكنت أنت يا قلب تفتقن فرحاً.

القلب: (بصوت مرتجف) آه، أذكرها. كنت أنبض بسرعة لم أعرفها قبلها ولا بعدها.

العقل: (يلين قليلاً) كنتُ حينها صامتاً، لم أجِد ما أقوله، حتى أنا لم أحل تلك اللحظة، اكتفيت أن أعيشها.

القلب: أتري يا زميلي العقل؟ حتى أنت تعترف أن بعض الأشياء لا تحسب.

العقل: لم أعترف بشيء، قلتُ فقط إنني صمتُ.

الذاكرة: (تبتسم) والصمت

بعد نقاش طويل وحاد بين رواد أحد المجالس حول أهمية استرجاع الذكريات والاستفادة منها، وبين رافض فكرة الاسترجاع ومؤيد لها، جلستُ بين يدي صندوق جدي الحديدي القديم، أتصفح تلك الوريقات القديمة، وأسأل نفسي: هل كتب جدي حول هذا الموضوع أي شيء؟

وجدتُ هذا الحكاية في واحدة من القصصات، يقول جدي في قصاصة من أوراقه:

في منتصف الليل، حيث تسترخي عتمة الغرفة وتتوهج نجوم السماء في الخارج، كان العقل يجلس على كرسية الوثير، يرتب ملفات الأيام بصراحة وهدوء، بينما كان القلب مستلقياً قريباً منه، يئن بصمت تحت وطأة شعور دافئ وغامض يشبه الحنين.

وسط هذا السكون، أطلت الذاكرة من خلف ستار الغيب، حاملة في يديها صندوقاً قديماً مغبراً يعبق السنين، فتحتة ببطء، فانسابت منه رائحة مطر قديم، وضحكات باهتة، وودود عتيقة كادت الأيام تمحوها. هزّت الذاكرة رأسها وقالت بصوت يشبه خفيف الأوراق في الخريف:

الذاكرة: أما أن لهذه التفاصيل أن تخرج من الظل؟ لستُ أريد سوى أن أحيي فيكما بعض ما كان لتعرفا من أين أتيتما.

التفت العقل ببطء، وخلع نظارته الفكرية وقال بنبرة غلظانية حذرة: يا ذاكرة، لم العيث بالملفات المخفلة؟ لقد طوبنا تلك الصفحات لأسباب وجيهة. الحنين إلى الماضي ليس سوى استهلاك عبقلي لطاقة الحاضر، وتاريخ انتهى صلاحيته لا يبني عليه مستقبل.

انقبض القلب بسرعة، وقد ومضت عيناه بنور غريب، وقال بصوت يقطر حرقلة: أيها الجاف، أنت لا تفهم شيئاً، تلك ليست مجرد ملفات وأرقام؛ تلك هي نبضاتنا الأولى، هي الحكاية التي جعلتنا بشراً حقيقيين.

كيف لك أن ترتدي ثوب الحياء أمام أيام كانت تضئ صدر العالم بأسره؟ دع الذاكرة



بقلم:
د. زكريا الخنجي

اعتراف أيضاً، وهذه ذكرى أخرى. تُخرج الذاكرة ورقة مطوية، فتقول: رسالة لم ترسل.

ويسود صمت ثقيل، القلب: (بصوت خافت) لا، أروح لا تفرئتها.

العقل: (بجدة) كنتُ أنا من منعك من إرسالها، وأنا لا أندم على ذلك.

القلب: لكنني ندمت، كل ليلة، ندمت. القلب: لو أرسلتُ لانتسرت أكثر. أنا حميتك.

القلب: حميتني من الألم، لكنك حرمتني الإجابة. أي الأمرين أسقى: أن أرفض، أم أن أظل أنسأل كل عمري؟

العقل: (بعد صمت) لا أملك جواباً لهذا السؤال.

الذاكرة: (برفق) وهذا أصدق ما سمعته منك منذ سنين.

العقل: ربما كنتُ أخاف، أنا أيضاً أخاف يا قلب. أنت تظنني بلا مشاعر، لكنني حين أحسب وأحذر، أفعل ذلك لأنني خائف عليك.

القلب: (بتأثر) لم أعرف هذا، كنتُ أراك سجيناً، ولم أَر أنك كنت حارساً.

العقل: وأنا كنتُ أراك طائشاً، ولم أَر أنك كنت الحياة التي أحرسها.

تبتسم الذاكرة، وتُخرج من قاع الصندوق شيئاً صغيراً لامعاً، فتقول: وهذه آخر ما في الصندوق،

يصف كثيرون في إسرائيل الجولة الانتخابية الأخيرة بأنها مصرية، بل

الأهم في تاريخ إسرائيل منذ إعلان تأسيسها عام 1948. أما لماذا تعدّ هذه الجولة من الانتخابات مصرية وأهمّ جولة في تاريخ إسرائيل، فتمكن الإجابة في أنها الأولى التي

تُجرى بعد كارثة السابع من أكتوبر 2023، كما توصف إسرائيلياً. وقد أسقطت هذه الكارثة وهم احتمال بناء «الجدار الحديدي» الذي دعا إليه جابوتنسكي في عشرينيات القرن الماضي، وهو الومح القاتل إن على أعداء إسرائيل من الفلسطينيين والعرب والمسلمين الاستسلام لحقيقة أن إسرائيل وجدت في المنطقة لبقى، وأن هزيمتها مستحيلة.

وتتجلى مؤشرات هذه الكارثة في السجل العام بين الإسرائيليين، سواء في الأسواق العامة، أو في وسائل المواصلات العامة، أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك في وسائل الإعلام ومنشورات معاهد ومراكز التفكير الاستراتيجي الإسرائيلية. وهذا يدل على أن هدف هذه الجولة من الانتخابات لا يقتصر على تحديد هوية رئيس الحكومة المقبل، بل يتعداه إلى الأمل في إخراج إسرائيل من مأزقها الاستراتيجي، الذي أصبح واضحاً وملموساً لدى أصغر الإسرائيليين سنّاً، في كل ما يمس شروط حياتهم اقتصادياً واجتماعياً وأمنياً وسياسياً وأخلاقياً.

فما المأزق الاستراتيجي الإسرائيلي؟ تتعدد أبعاد المأزق الاستراتيجي الإسرائيلي، إلا أن جوهره، كما بدأ يتجلى بعد السابيع من أكتوبر، يكمن في الفجوة بين القدرة على استخدام القوة والقدرة على إنتاج أمن مستدام للدولة ومواطنيها، ولا سيما اليهود منهم. فالنفاق العسكري يتيح القدرة على ارتكاب جرائم الإبادة والتهجير القسري، وتدمير قدرات الخصوم واحتلال أراضيهم، لكنه لا يوفر الشعور بالأمن، ولا يجيب وحده عن أسئلة الحكم بعد الحرب، ولا يمنع تجدد المقاومة، ولا يتيح في تحديد شروط الانسحاب أو التناحية. ومن هنا، يصبح هوية رئيس العمليات العسكرية أو الحرب الدائمة وسيلة لتأجيل الأسئلة السياسية، بينما تتراكم كلفة غياب الإجابات.

ويحتل الصراع مع الفلسطينيين موقعاً مركزياً في هذا المأزق، بل هو العامل المؤسس له في أبعاده كلها؛ إذ تسعى إسرائيل في صراعها مع الفلسطينيين إلى الجمع بين السيطرة الأمنية على الأرض، ومنع قيام دولة فلسطينية ذات سيادة، والمحافظة على الوقت نفسه على تعريفها دولةً يهوديةً وديمقراطيةً. وكما اتسعت السيطرة والاستيطان، ازدادت صعوبة التوفيق بين هذه الأهداف، وارتفعت كلفة الحكم المباشر أو غير المباشر لملابيين الفلسطينيين.

وفى الواقع، ازداد هذا المأزق في بعده الفلسطيني وضوحاً عام 2005، حين شهد ذلك العام انسحاب إسرائيلياً أحادي الجانب من غزة وشمال الضفة الغربية. وقد تلخص المأزق في التناقض بين مقاربتيين: الأولى مقاربة شارون، ذي الخلفية العسكرية، الذي رأى أن مواصلة اعتماد الاستراتيجية الإسرائيلية نفسها خلال العقود القادمة، وهي الاستراتيجية التي مكنت إسرائيل منذ عام 1967 من الموازنة بين احتلال سكتا معادين وشرق صفوف الدول العربية، ستكون باهظة الكلفة وشديدة المخاطر.

أما المقاربة الثانية فكانت مقاربة نتنياهو، رئيس المعارضة آنذاك، الذي رأى أن الانسحاب الأحادي الجانب عن الفلسطينيين يزيد الخطر الآتي من دون أن يعالج المشكلة؛ أي أن الانسحاب لا يوفر الأمن، وربما يقلص عبء السيطرة، لكنه قد يؤدي إلى نشوء تهديدات جديدة.

ورحل شارون، فيما لا يزال نتنياهو يحاول إصلاح ما أسفده شارون، بحسب تعبيره. لكن الواقع يقول إن إسرائيل لا تزال عالقة في مأزقها الاستراتيجي، بل إن هذا المأزق تعمق. وكان الخبير في الجيوبوليتيك جورج فريدمان قد كتب عام 2007 أنه إذا صلت مقاربة شارون فيمكن لإسرائيل المناورة: